

التحليل النفسي لشخصية ابن عربي في رواية "موت صغير" بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات

مهدي يارى*

سيد مهدي نوري كيزقاني (الكاتب المسؤول)**

مهدي خرمن سرخوضكي***

حسين شمس آبادي****

عباس كنجعلي*****

الملخص

النقد النفسي هو أحد الأساليب الحديثة في النقد الأدبي الذي يساعد في فهم الأعمال من حيث تحليل الشخصيات. يرى أبراهام ماسلو، عالم النفس الإنساني الأمريكي، أن الإنسان بفطرته يحتاج إلى النمو، وللوصول إلى هذا النمو، يجب أن يلبي خمسة أنواع من الاحتياجات: الاحتياجات الفسيولوجية والاحتياجات الأمنية والاحتياجات الاجتماعية واحتياجات التقدير واحتياجات تحقيق الذات. النقطة المهمة فيما يتعلق بتلبية هذه الاحتياجات هي أنه يجب أولاً تلبية احتياجات المستويات الدنيا حتى يتمكن الإنسان من الوصول إلى المستويات العليا ومرحلة تحقيق الذات. تعتمد الدراسة الحالية على هذه النظرية، وباستخدام المنهج الوصفي التحليلي، تبحث في كيفية تحقيق الشخصية الرئيسية في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان، لذاتها. تتناول هذه الرواية شخصية وحياة ابن عربي، العارف الإسلامي الشهير. يمكن ملاحظة العديد من العقبات في هذه الرواية التي تواجه مسار غوا ابن عربي، ولكنه يسعى مجدية لتجاوز هذه العقبات. تظهر نتائج البحث أن عملية تحقيق الذات لابن عربي تتناسب مع المعايير التي طرحها ماسلو لتحقيق الذات. إن وجود معايير مثل مقاومة الانصهار الثقافي والانعزال والتركيز على حل المشكلات في شخصية الرواية الرئيسية هي من أبرز مكونات تحقيق الذات لديه. يسعى ابن عربي جاهداً للوصول إلى احتياجات المستويين الرابع والخامس من الهرم، وفي هذا المسار، ومع مقاومته للثقافة السائدة، يصل إلى مرحلة تحقيق الذات بتطهير قلبه من الرذائل. الكلمات الدلالية: حاجة، تحقيق الذات، موت صغير، ابن عربي، أبراهام ماسلو.

***. طالب في مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزواري، سبزواري، إيران
***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزواري، سبزواري، إيران
sm.nori@hsu.ac.ir

***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزواري، سبزواري، إيران
***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزواري، سبزواري، إيران
***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزواري، سبزواري، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٣/٢٩ ق
تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٦/٢٩ ق

المقدمة

النقد النفسى هو أحد التوجهات الحديثة فى النقد الأدبى التى تساعد الباحث على فهم الجوانب النفسية لشخصيات القصة وشخصية الكاتب. باستخدام مناهج وأصول علم النفس، يمكننا دراسة خصائص الشخصيات الموجودة فى القصة.

الشخصية الرئيسية فى القصة هى العمود الفقرى لأى قصة أو رواية وتلعب دوراً محورياً فى تقدم السرد وجذب الجمهور. هذه الشخصية ليست مجرد ممثل للمؤلف للتعبير عن مفاهيم وموضوعات القصة، ولكنها أيضاً جسر للقارئ للتواصل مع العالم الذى أنشأه المؤلف. يسعى القارئ إلى فهم القصة من خلال فهم الشخصيات. الشخصية الرئيسية فى القصة أسهل فى الفهم من الشخصيات الأخرى. «يسعى القارئ إلى فهم الشخصيات بعمق، والشخصية الرئيسية، بسبب حضورها البارز، توفر أكبر فرصة لهذا الفهم.» (ميرصادقى ومهاجر، ٢٠١١: ٨٧) نظراً لتوفر المزيد من المعلومات حول الشخصية الرئيسية فى القصة، يمكن دراستها بشكل أفضل.

سعى أبراهام ماسلو، عالم النفس الأمريكى، إلى دراسة طرق النمو ووصول الإنسان إلى النجاح. اشتهر ماسلو فى العالم بنظريته فى تدرج الاحتياجات المعروفة بهرم ماسلو. وفقاً لهذه النظرية، يمتلك البشر خمس فئات مختلفة من الاحتياجات، وأعلى هذه الاحتياجات هو الحاجة إلى تحقيق الذات. هذه الحاجة خاصة بالإنسان، وكل إنسان يسلك طريقه الخاص لتحقيق الذات. يستغرق تحقيق هذه الحاجة وقتاً أطول مقارنة بالاحتياجات الأخرى، وإشباعها يشعر الإنسان براحة ورضا أكبر. وتحقيق الذات، يصبح الإنسان شخصية فريدة، وبهذه الطريقة يتميز عن الآخرين.

نظراً لأن ابن عربى، المعروف بالشيخ الأكبر، هو من أهم الشخصيات الصوفية فى العالم الإسلامى، ونظرية هرم ماسلو تعتبر نظرية بارزة فى تناول شخصية الإنسان وتحقيق الذات لديه، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الشخصية الرئيسية فى رواية "موت صغير" بناءً على النظرية المذكورة أعلاه، باستخدام المنهج الوصفى التحليلى بناءً على الطريقة الاستقرائية غير المكتملة، للإجابة على الأسئلة.

أسئلة البحث

١. بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات، كيف تصل الشخصية الرئيسية في الرواية المذكورة إلى تحقيق الذات، وما هي المراحل التي تمر بها؟
٢. وفقاً لنظرية ماسلو، ما هي مكونات تحقيق الذات الأكثر بروزاً في الشخصية الرئيسية لهذه الرواية؟

فرضيات البحث

من خلال دراسة رواية "موت صغير"، يبدو أن ابن عربي يصل إلى تحقيق الذات من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية (السيولوجية والأمنية والاجتماعية والتقدير). على الرغم من أنه في بعض مراحل حياته، واجه صعوبات في تلبية بعض هذه الاحتياجات. يبدو أن ابن عربي، كشخصية محققة لذاتها، قد أبرز مقاومة الانصهار الثقافي والانعزال والحاجة إلى الحلوة والتركيز على حل المشكلات، أكثر من أي مكونات أخرى لتحقيق الذات.

خلفية البحث

من بين الدراسات التي أجريت حول رواية "موت صغير" يمكن الإشارة إلى ما يلي: يونس قريبي في مقاله "الشخصية وبناء الشخصيات في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان" (١٣٩٩ش / ٢٠٢٠م)، يسعى لتحديد أنواع الشخصيات الثابتة والديناميكية وغيرها في رواية موت صغير. وخلص كاتب المقال إلى أن علوان استخدم مجموعة متنوعة من الشخصيات النمطية والنموذجية والثانوية والرئيسية وما إلى ذلك، وقدمها بطرق مختلفة.

مسعود باوانبوري، مهين حاجيزاده و خليل پرويني في مقال "الاتصال غير اللفظي في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان دراسة سيميولوجية" (١٤٤٢ق)، يحاولون دراسة هذه الرواية من حيث الاتصالات غير اللفظية مثل تعابير العين، وحركات الرأس، واليد، إلخ. تشير نتائج المقال إلى أن علوان استخدم الإشارات في روايته لتحديد أو توزيع الفراغات فيها. وقد استخدم الكاتب مراراً وتكراراً الأساليب التالية للتعبير عن رسالته غير اللفظية حسب ترتيب وفرتها: حركات الرأس، واليد، والوجه،

والعين، والسلوكيات الصوتية، والحركات اللمسية والإيمائية، وحركات الجسم. وقد استُخدمت هذه الحركات للتعبير عن حالات مثل الغضب، والخوف، والقلق، والضيق، وغيرها. بالإضافة إلى ذلك، تُستخدم وسائل وأجهزة أخرى فى نقل رسائل الكاتب. ولأغلب هذه الرسائل وظيفة بديلة.

على أسودى وزهرا إيزدى، فى مقال "دراسة نموذج الحاكم الأولى فى رواية موت صغير بناءً على نظرية بيرسون-كيمار" (١٤٠٠ش / ٢٠٢١م)، يبحثون فى التشابه بين نموذج "الحاكم" الأولى لبيرسون-كيمار ونظرية الإنسان الكامل لابن عربى. وتشير نتائج الدراسة، فى ضوء آراء ابن عربى، إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين النموذج السائد ونظرية ابن عربى فى الإنسان الكامل بين النماذج الاثنتى عشر لنظرية بيرسون-كيمار؛ بحيث يظهر البطل بعد مروره بمراحل الانطلاق والبدء والعودة خصائص النموذج السائد، وهى قريبة إلى حد ما من خصائص الإنسان الكامل عند ابن عربى، وكلاهما يميلان إلى حد ما معايير تحقيق الذات للشخصية.

طاهره حيدرى، فى مقال "دراسة شخصية ابن عربى فى رواية موت صغير لمحمد حسن علوان بناءً على نموذج الأنيميا الأولى" (١٤٠٠ش / ٢٠٢١م)، تدرس تجليات نموذج الأنيميا (الجانب الأثنوى فى وجود الرجل) فى هذه الرواية. وفقاً لنتائج هذه الدراسة، كان للروح تأثيرٌ بالغٌ فى بناء أحداث القصة ووقائعها، وأوجدت مساحات من الصراع بين الشخصيات. وتشير النتائج إلى أن الجوانب الإيجابية للروح تجلّت فى صورة حبيب، ومرشد، ومرشدة، وما إلى ذلك.

محمد هادى مرادى وهادى عزيزى فى مقال "تحليل رواية موت صغير على أساس المنهج النفسى (نظريات فرويد ولاكان نموذجاً)" (٢٠٢٢م)، وبناءً على نظريات فرويد ولاكان، يقدمان ابن عربى كشخصية ماسوشية تعود جذور هذه الماسوشية إلى سلوك والد ابن عربى تجاهه، وأنه كان يسعى وراء المتعة، على الرغم من أنه بتوجيهات معلمته، تحلى عن الكثير من هذه المتع ليصل إلى مكانة قطب الصوفية. وبحسب مؤلفى المقال فإن رواية موت صغير تحكى محاولة ابن عربى الهروب من ماضيه وتحقيق السلام.

طاهره حيدرى فى مقال "توظيف التاريخ فى رواية موت صغير لمحمد حسن علوان"

(ربيع وصيف ٢٠٢٣م) تتحدث عن كيفية استخدام التاريخ في هذه الرواية وتخلص إلى أن علوان يستخدم التاريخ كإطار لكتابة الرواية، وهذا الاستخدام للتاريخ يجذب القارئ إلى الرواية.

سهيلا كاظم عليلو في رسالة الماجستير "دراسة وتحليل عناصر القصة في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان"، تسعى لتناول نوع القصة وطريقة سردها، وتوضح العناصر الأساسية للقصة وهي: الشخصية والراوي والموضوع والفعل والفكرة الرئيسية والزمان والمكان والأسلوب وزاوية الرؤية وحبكة القصة والرمز فيها. بالنظر إلى ما سبق، يمكن فهم أن هذه الرواية لم تُدرس حتى الآن بناءً على نظرية هرم ماسلو، ولذا فإن البحث الحالي يعد جديداً من هذه الناحية.

ضرورة البحث وأهميته

تعتبر نظرية ماسلو من النظريات البارزة المستخدمة في علم النفس. تتناول هذه النظرية مفهوماً مهماً في حياة الإنسان وهو النمو. هذه النظرية ذات فائدة كبيرة في تحليل شخصيات القصة، خاصة الشخصية الرئيسية؛ لأن الكاتب يقدم لنا تفاصيل أكثر عن الشخصية الرئيسية. موضوع رواية "موت صغير" هو حياة شخصية معروفة في العرفان النظري، والتي كانت أفكارها وأعمالها محط اهتمام العلماء من الشرق والغرب لسنوات عديدة. هذه الشخصية تتمتع بنمو كبير جداً، مما جعلها تصل إلى هذه المكانة. لذا، تسعى هذه المقالة إلى دراسة عملية نمو هذه الشخصية العظيمة ضمن الإطار النظري لهرم ماسلو للاحتياجات والإجابة على الأسئلة المطروحة.

هيكل المقالة

في علم النفس، توجد مقاربات ومدارس مختلفة مثل الجشطالت والتحليل النفسي والسلوكية والمعرفية وإلخ. إحدى هذه المدارس هي المقاربة الإنسانية وهي المقاربة التي تعطي أهمية خاصة للإرادة والحرية الإنسانية وتؤمن بأن الإنسان يستطيع تحقيق النمو من خلال الوعي الذاتي. في هذه المدرسة، «يمكن للإنسان أن يؤثر على مصيره أو حتى يتحكم فيه». (كنجى، ١٣٩١: ١٠) تؤكد هذه المقاربة على حرية الإنسان في

اختيار مصيره. من أهم وأشهر الشخصيات في هذه المدرسة هو أبراهام ماسلو. «كان يسعى لاكتشاف ما يحفز السلوك البشرى.» (رايكمان، ١٣٩٦: ٤٤٦) يعتقد ماسلو أن الإنسان، لكي يصل إلى النمو والكمال، يجب أن يلبي خمسة أنواع من الاحتياجات. هذه الاحتياجات الخمسة هي: ١- الاحتياجات الفسيولوجية، ٢- الاحتياجات الأمنية، ٣- الاحتياجات الاجتماعية، ٤- احتياجات التقدير، ٥- احتياجات تحقيق الذات. النقطة المهمة فيما يتعلق بالوصول إلى النمو هي أنه يجب تلبية احتياجات المستويات الدنيا، مثل الاحتياجات الفسيولوجية والأمنية، إلخ، حتى تظهر الاحتياجات التالية. على سبيل المثال، يجب أولاً تلبية حاجة الإنسان إلى الطعام والماء، إلخ (الاحتياجات الفسيولوجية) حتى يأتي دور الاحتياجات التالية مثل الأمن، إلخ. بعبارة أخرى، تلبية كل حاجة تدفع الإنسان نحو الحاجة التالية. على الرغم من أن ماسلو يؤكد أنه في بعض الأحيان، ولأسباب تحفيزية، يمكن للشخص أن يفضل احتياجات المستويات العليا على احتياجات المستويات الدنيا؛ على سبيل المثال، قد يتنازل عن سلامته من أجل الحب؛ (فيسست وفيسست، ١٣٩٠: ٥٩١) ولكن بشكل عام، فإن السبيل إلى تحقيق الذات هو تلبية الاحتياجات الدنيا. يمكن للإنسان أن يقدم شخصيته الفريدة عندما يكون قد حقق ذاته. تحقيق الذات يساعد الإنسان على إيجاد هويته وشخصيته؛ هوية وشخصية تميزه عن الآخرين.

تعريف مؤلف الرواية وملخص القصة

محمد حسن علوان (ولد في ٢٧ أغسطس ١٩٧٩م) روائي سعودي. ولد في الرياض ودرس نظم المعلومات الإدارية في جامعة الملك سعود. ثم تابع دراسته في إدارة الأعمال (MBA) في جامعة بورتلاند وحصل على الدكتوراه من جامعة كارلتون عام ٢٠١٦م. في عام ٢٠١٣م، ترشح لجائزة البوكر العربية عن روايته "القندس" وفي عام ٢٠١٧م فاز بالجائزة عن روايته "موت صغير". هذه الرواية جلبت له شهرة واسعة.

تقدم هذه الرواية قصتين بشكل منفصل. القصة الأولى هي قصة حياة ابن عربي من طفولته حتى وفاته، والقصة الثانية تتناول تداول سيرته الذاتية في فترات مختلفة. في

هذه المقالة، سيتم التركيز على القصة الأولى.

تبدأ الرواية بأسلوب فني وعلى لسان ابن عربي نفسه. كما نقرأ في الصفحات الأولى: «أعطاني الله برزخين: برزخ قبل ولادتي وآخر بعد مماتي. في الأول رأيت أُمِّي وهي تلدني وفي الثاني رأيت ابني وهو يدفني. رأيت أبي يضحك مستبشراً ببيكره الذكر وزوجتي تبكي مفجوعة في زوجها المسنّ.» (علوان، ٢٠١٦: ١٣)

بناءً على هذه الرواية، ولد ابن عربي في مرسية. كان والده على مقرباً من حاكم مرسية، محمد بن سعد بن مردنيش. قام ابن عربي بالعديد من الرحلات خلال حياته. كان يبحث عن أوتاده الأربعة ليقطع مسار السعادة. انتقل أولاً من مرسية إلى إشبيلية وكرس نفسه للدراسة. في نفس الوقت، بدأ العمل في البلاط الملكي وتفاعل مع شخصيات علمية في ذلك الوقت مثل ابن رشد. تزوج ابن عربي من فتاة تدعى مريم بنت عبدون وأنجب منها ابنة اسمها زينب. بعد جهود مضنية، وصل ابن عربي إلى وتده الأول، يوسف الكومي. شجّعه هذا الوجد على البحث عن الأوتاد الأخرى. بعد رحلات عديدة، أدرك أن وتده الثاني قد توفي وأن أحد أصدقائه القدامى قد حل محله. الوجهة التالية للعثور على الوجد كانت مكة. في هذه المدينة، وبعد العديد من التقلبات الروحية، وقع ابن عربي في حب نظام، ابنة الشيخ زاهر الأصفهاني. خلال هذه المعرفة، وقعت له أحداث مريّة؛ فقد ابنته وتركته زوجته، وبعد فترة توفيت. لم يؤدّ حب ابن عربي لنظام بالزواج، وبقي فاشلاً في هذا المسعى. خلال الأحداث اللاحقة للقصة، أدرك ابن عربي أن سبب معارضة نظام لهذا الزواج هو أنها وتده الثالثة. كانت ثمرة إقامته في مكة هي تأليف كتاب "الفتوحات المكية". واصل ابن عربي البحث عن وتده الرابع حتى وجده في ملطية. إن وتده الرابع لم يكن سوى شمس تبريزي. بعد أن وجد الأوتاد الأربعة، وصل إلى مقام قطب الصوفية. مع مرور الوقت، وبسبب آرائه، تعرض لغضب العلماء، واضطر للعمل كبستاني، واستمر في كسب رزقه بهذه الطريقة حتى وفاته. بالطبع، تروى أحداث القصة بأسلوب فني للغاية وباستخدام تقنيات سرد حديثة مختلفة مثل الفلاش باك وتيار الوعي وما إلى ذلك، وكما ذكر في البداية، تروى في الواقع قصتان من الماضي والعصر الحديث في رواية واحدة.

تحليل ومراجعة بيانات الرواية بناءً على احتياجات ماسلو

فى هذا القسم، سنقوم بتحليل ومقارنة الاحتياجات الخمسة لهرم ماسلو مع مسار تشكل شخصية ابن عربى. يبدأ مسار ابن عربى فى النمو وتحقيق الذات من الحاجة الأساسية (الفسولوجية) ويصل إلى مرحلة تحقيق الذات.

الاحتياجات الفسولوجية

أول مستوى من الاحتياجات فى هرم ماسلو هو الاحتياجات الأساسية والفسولوجية. يجب على الإنسان أن يلبى احتياجاته الفسولوجية للبقاء. إذا لم تُلب هذه الاحتياجات، فسيظل الشخص منخرطاً فيها دائماً، وسيحرم من فرصة الوصول إلى مستويات أعلى من الهرم. بمعنى آخر، تُعتبر هذه الاحتياجات بمثابة العمود الفقرى لهرم الاحتياجات، وهى ذات أهمية بالغة. «تشمل هذه الاحتياجات: الحاجة إلى الهواء والطعام والماء والمأوى والاحتياجات الجنسية والنوم.» (سيف، ١٣٩٠: ٢٣٤) من ناحية أخرى، فى العرفان والتصوف، يظهر إهمال أو قلة الاهتمام بالاحتياجات الجسدية والمادية بشكل بارز، ويشار إليها أحياناً بالرياضة. من منظور الصوفية، «الرياضة هى جهد للانفصال عن الحياة الحيوانية والاتصال بالحياة الروحانية الطيبة، وهى أساس السلوك.» (يثربى، ١٣٩٧: ٨٢). مع هذا الافتراض المسبق، من المتوقع أن تكون حياة الشخصية الرئيسية فى رواية "موت صغير" قائمة بالكامل على هذه الرياضة وإجهاد الجسد؛ ومع ذلك، فإنه لا يرى نفسه بعيداً عن هذه الاحتياجات؛ بل فى أجزاء مختلفة من هذه الرواية، يشار إلى الاحتياجات الفسولوجية وطرق تلبيتها. «إذا سهرت لأشهد مطالع الأنوار الإلهية ضيعت على ذلك حشية الصوف بالنوم، وإذا لزم الصمت لأسمع حفيف الأسرار القدسية قرقرت بطنى.» (علوان، ٢٠١٦: ٨)

بالطبع، من الواضح فى هذه المرحلة أن ابن عربى يشكو من الحجاب الذى تسببه له هذه الاحتياجات، ويعتبرها مانعاً لسلوكه؛ لأنه فى التصوف «بالرياضة يمكن تجاوز المنازل والمقامات، والسلوك يتأثر بـ 'الأمن والراحة'، ويكتمل بتحمل المشقات والبلاء.» (يثربى، ١٣٩٧: ٨٢)

فى مكان آخر، يشار إلى هذه الاحتياجات بشكل غير مباشر. بعد أن يكتشف الخليفة أن ابن عربى قد تزوج، يقرأ مازحاً من كتاب أسماء الأطعمة التى تزيد الرغبة الجنسية، ثم يأمر بطهى مثل هذه الأطعمة لابن عربى. «يا حاجب! قل للطاهى يجعل فى عشاءنا من كل ما سمعت ما كان موجودا، فياكل ابن عربى ما يزيده واكل أنا ما ينقصنى.» (علوان، ٢٠١٦: ١٦٦)

لذلك، فى الرواية المذكورة، لم يتم تجاهل الاحتياجات الفسيولوجية بالكامل؛ بل إن سير الأحداث يسير بطريقة طبيعية حيث تبدأ الشخصية الرئيسية فى تلبيةها تدريجياً لتقليلها والتقدم نحو الكمال المنشود والسمو. فى التعاليم العرفانية الإسلامية الصحيحة أيضاً، أُشير إلى أهمية هذه الاحتياجات. تلبية هذه الاحتياجات توفر الأساس للتطور الروحى والمعنوى للشخص وعدم الاهتمام بهذه الاحتياجات أو الاهتمام بها قليلاً، يؤدى إلى الكفر والانحراف عن الصراط المستقيم. هذه النقطة المهمة هى نقطة التناقض بين الإسلام والصوفية الخاطئة غير الإسلامية أو المنسوبة إلى الإسلام. يمكن رؤية هذا التناقض فى معارضة الإسلام للرهبانية المبتدعة على طريقة النصارى وترك الزواج. وقد نُهيت هذه الرهبانية فى الأحاديث: «لا رهبانية فى الإسلام.» (ابن حيون، ١٣٨٥ هـ ق، ج ٢: ١٩٣)، وعن النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ذم الفقر والعوز الذى يؤدى إلى عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية، نُقل: «كاد الفقر أن يكون كفراً.» (الكلينى، ١٣٧٥، ج ٢، ٣٠٧)

الاحتياجات الأمنية

بعد تلبية الاحتياجات الفسيولوجية، يأتى دور الاحتياجات الأمنية. يشمل هذا الأمن الحياة والوظيفة والأمن المالى والاستقرار والقدرة على التنبؤ. يحتاج البشر إلى التخطيط فى حياتهم ووجود الأمن فى هذه المجالات يشكّل أساساً للتخطيط. «كلما تقدمنا نحو المستوى الثانى من هرم ماسلو، أصبحت الاحتياجات أكثر تعقيداً قليلاً.» (شولتز، ١٣٨٩: ٣٤٨) يحتاج الشخص فى هذه المرحلة إلى «الأمن والاستقرار والانتماء والدعم والوظيفة والعائلة والممتلكات والصحة والسلامة الجسدية، إلخ.»

(ماسلو، ١٣٧٢: ٧٤) يصف ابن عربي برزخه الأول بالولادة والخروج إلى الوجود ويصف انفصاله عن الرحم ودخوله العالم الجديد بأنه أمر محزن؛ ولكن أول ما يزيل هذا الحزن هو أن فاطمة بانو بنت مثنى، قابلة ابن عربي ومرشدته نحو النمو والسمو، تحتضنه وتمنحه شعوراً بالراحة والأمان. «وهي أيضاً اتخذتني ابناً روحياً لها مذ حطت عيناها على وجهي وغمرتني بجناتها الجارف الذي كان عزائي الأول في فراق برزخي وزادى في ابتداء رحلتى.» (علوان، ٢٠١٦: ١٤)

ولد ابن عربي في مرسية وأقام فيها لعدة سنوات. كان حاكم هذه المدينة، محمد بن سعد بن مردنيش، من حكام المرابطين. الموحدون، أعداء المرابطين، كانوا قد احتلوا أجزاء واسعة من الأندلس باستثناء مرسية. كانت مرسية محاصرة، وقد تسبب هذا الحصار في انعدام الأمن ونقص المؤن العامة، إلخ. عندما استسلمت مرسية للموحدين وسقطت المدينة في أيديهم، استتب الأمن والهدوء إلى حد ما. «دبت الحيات في أوصال المدينة مرة أخرى ففتحت الحوانيت الموصدة وانتعشت الأسواق المهجورة وعادت أصوات الباعة تملأ أسماع مرسية.» (علوان، ٢٠١٦: ٤٨)

بالطبع، تجدر الإشارة إلى أن ابن عربي في جزء من الرواية يشير إلى عدم اكتراث المتصوفة بانعدام الأمن والصعوبات التي تعترض سبيل توفير الضروريات. عندما كان ابن عربي مقيماً في دمشق، تمت محاصرة المدينة بأمر من "الكامل"، حاكم القدس. بعد أن يذكر ابن عربي المشاكل التي لحقت بالناس، يقول عن وضع المتصوفة: «أما الكامل فإنه فور أن أنهى تسليم القدس للفرنجة اتجه نحو دمشق لينزعها من ابن أخيه. وحاصرنا فيها سنةً ضاق فيها المترفون بانقطاع الأنهار عن سواقيها ونهب الحواصل التي في رساتيقها وغلت الأسعار غلاءً فاحشاً.» (المرجع نفسه: ٥٨٤) إن هذه العبارة تعبر عن وضع ابن عربي نفسه؛ شخصية محققة لذاتها تكتفى بأقل القليل من العيش والأمان، وقد أعدت نفسها لمواجهة الأيام الصعبة. يسعى المتصوفة بالتركيز على الأمور الروحية والابتعاد عن هموم الدنيا إلى تحقيق حاجة تحقيق الذات. بهذه الطريقة، يسعون إلى الوصول إلى الكمال الروحي. ومع ذلك، فمن البديهي أن العرفاء أيضاً يحتاجون حتماً إلى الحد الأدنى من الإمكانيات لتلبية الاحتياجات الأساسية.

الاحتياجات الاجتماعية

فى المرحلة الثالثة، يسعى الإنسان إلى تلبية الاحتياجات الاجتماعية. فى هذه المرحلة يسعى الإنسان إلى الشعور بالانتماء والصداقة؛ الشعور بالانتماء إلى مجموعة من الأصدقاء والعائلة والوالدين وما إلى ذلك. ويحاول خلق هذا الشعور فى نفسه بطرق مختلفة. بعد تلبية الاحتياجات الأمنية، «تبرز الحاجة إلى الحب والمودة فى بداية المرحلة التالية لدفع الإنسان إلى الأمام؛ ولهذا السبب، تنشأ فى الإنسان رغبة شديدة فى التواصل العاطفى مع الآخرين.» (محمد، ١٩٩٨: ٤٥٧-٤٥٣)

فى هذه الرواية، يقع ابن عربى فى حب فتيات. إحداهن تُدعى "جالا"، وهى ابنة فريدريك، صديق ابن عربى المسيحى؛ (علوان، ٢٠١٦: ١٣٧) على الرغم من أن هذا الحب لا يكلل بالنجاح. الشخصية الأخرى هى مريم بنت عبدون، التى تصبح زوجته. يصف ابن عربى وجودها على النحو التالى: «أقبلت على بكل ما فى قلبها من شجر يورق للتو. أطعمتنى رضا وسقنتنى سلاماً وأفرشتنى طمأنينة وراحة. ما كنت لأطبق إشيلية لو لم تكن فيها.» (المرجع نفسه، ١٦٤) تُظهر هذه الجملة بوضوح مدى تأثير الاحتياجات الاجتماعية والعاطفية على شعور الإنسان بالرضا والسعادة. إن وجود شخص ذى قيمة فى الحياة يمكن أن يمنح الإنسان شعوراً بالأمان والانتماء والراحة، ويساعده على مواجهة تحديات الحياة بشكل أفضل. تبرز هذه الجملة أهمية العلاقات الإنسانية ودورها فى تلبية الاحتياجات الأساسية. يمكن القول إن مريم تلعب دور السند العاطفى ومصدر الإلهام لابن عربى، وتساعد على الشعور بتحسن فى مدينة إشيلية. هذا الشعور بالانتماء يجعل إشيلية محتملة لابن عربى ويساعده على التكيف مع العيش هناك.

لكن أهم حب خاضه ابن عربى فى حياته كان حبه لنظام؛ ابنة الشيخ زاهر الأصفهاني التى التقى بها فى مكة. يقول ابن عربى عن مدى تعلقه بنظام: «... نظام هى أول عهدى بالنساء وأول امرأة أشعر معها باكتمال الحب وانسياق العاطفة وخضوع الروح وطمأنينة الجوارح.» (علوان، ٢٠١٦: ٣٣٤) كان حب ابن عربى لنظام لدرجة أنه كان يرى فيها أول امرأة اختبر معها الحب الحقيقى؛ وكأن النساء اللواتى سبقنها، حتى

زوجته، لم يدخل قلبه بقدر نظام. كان لابن عربى ونظام الكثير من القواسم المشتركة فى الحديث. كانت نظام من العلماء والمتعلمات فى عصرها، وكان ابن عربى يستطيع أن يمضى ساعات معها دون أن يشعر بالتعب. كان ابن عربى يحب نظام من كل قلبه ويشعر بعشقها الملتهب فى داخله؛ لكن هذا الحب لم يتوج بالزواج؛ لأن نظام هى وتد ابن عربى الثالث، وبالتالي لا يمكنه الزواج منها.

احتياجات التقدير

احتياجات التقدير هى الفئة الرابعة من الاحتياجات التى يشير إليها ماسلو. تُلبى احتياجات التقدير على شكلين: احترام الذات واحترام الآخرين. يحترم الشخص بنفس الطريقة التى يرى بها نفسه؛ كما يبدو محترماً فى عيون الآخرين. «إشباع هذه الاحتياجات يؤدى إلى احترام الإنسان لذاته واحترام الناس له؛ وفى هذه الحالة، يصبح موقعه وهويته ثابتة وينجذب نحو العمل وتحقيق النجاح.» (مبروك، ٢٠١١: ٦٣) بالطبع، «تنقسم هذه الحاجة إلى فئتين فرعيتين: ١- الحاجة إلى القدرة والنجاح والمهارة والكفاءة والاستقلالية والحرية، ٢- الحاجة إلى الاعتبار والمكانة والشرف والشهرة والأهمية.» (ماسلو، ١٣٦٧: ١٥٤)

بذل ابن عربى جهوداً كبيرة فى تحصيل علوم ومعارف عصره، وأصبح من أبرز الشخصيات العلمية فى عصره. وقد أدت هذه المكانة العلمية الرفيعة إلى تمتعه بمكانة عالية لدى حكام عصره، الذين كانوا يسعون إلى حضوره فى بلاطهم. كان معاشره الحكام والخلفاء تعتبر من علامات الاعتبار والأهمية، وقد حظى ابن عربى بهذه الصفة. أقام الخليفة فى إشبيلية لفترة. وقد سمع سابقاً من ابن رشد عن ابن عربى، وبعد أن علم بعبريته، قال له: «لا تفارق مجلسى هذا حتى أرحل من إشبيلية.» (المرجع نفسه: ١٦١)

إن احترام الحكام والوجهاء لابن عربى يساهم فى رفع مكانته الاجتماعية. على الرغم من أن ابن عربى ليس شخصية تسعى بأى ثمن لكسب احترام الحكام؛ إلا أن هذا الأمر يدفع الناس الذين يولون اهتماماً كبيراً لآراء الحكام، إلى النظر إلى ابن عربى كإنسان رفيع القدر وتقديم احترام خاص له.

بالإضافة إلى الاحترام الذى ناله ابن عربى من الحكام والناس، كان العلماء الذين كانوا على دراية بالجوانب العلمية والعرفانية لابن عربى، يكونون له منزلة خاصة. من الأمثلة التى يمكن ذكرها، احترام العلماء لابن عربى فى مدينة فاس. يتحدث عن لقاءه بعلماء المدينة والاحترام الذى كانوا يكتفون له. «وسرعان ما شعر بى الأولياء وأهل الطريق. يقدون إلى التزل ويسألون عنى فإذا لقيتهم ابتسموا وابتسمت، وعرفوا شأنى وعرفت.» (علوان، ٢٠١٦: ١٧٤) فإن العلماء الذين كانوا أهل فكر وقلم، اعترفوا بمكانة ابن عربى الرفيعة وأكّنوا له احتراماً خاصاً. هذا الاحترام، الناتج عن المعرفة والفهم، ساعد ابن عربى على تلبية الحاجة الرابعة، ولم يشعر بأى نقص من حيث الاحترام والمكانة الاجتماعية.

احتياجات تحقيق الذات

تأتى هذه الاحتياجات فى أعلى الهرم فى هرم ماسلو للاحتياجات. فى هذه المرحلة، يسعى الإنسان إلى تحويل نفسه إلى شخصية قادرة على تحقيق إمكاناتها ومواهبها. من خلال تحقيق الذات بنجاح، يمكن للشخص أن يكتسب هويته وشخصيته الفريدة، ومن خلال إشباع هذه الحاجة تتحقق فردية الشخص ويمكنه تحقيق شخصيته المميزة. يرى ماسلو أن "البشر لديهم حاجة واعية لتحقيق الذات ويريدون أن يصبحوا ما يمكنهم أن يكونوا." «أهم خصائص تحقيق الذات فى نظرية ماسلو هى كالتالى: ١- فهم أفضل للواقع والتواصل معه ٢- مقاومة الانصهار الثقافى ٣- قبول الذات والآخرين والطبيعة ٤- العفوية والبساطة والطبيعية ٥- جودة الانعزال والحاجة إلى الخلوة ٦- الإبداع والابتكار ٧- التركيز على حل المشكلات.» (ماسلو، ١٣٦٩: ٢٣٨-٢١٦) يرى ابن عربى أن معرفة الله والوصول إليه هو أساس تحقيق الذات. «يدرك الإنسان الكامل معرفة الكنز الخفى؛ المعرفة التى هى غاية الله من خلق العالم.» (شيتيك، ١٣٩٣: ٩٨) فى هذا الجزء، سنتناول هذه الخصائص.

فهم أفضل للواقع والتواصل معه

يسعى محققو الذات إلى قبول الواقع كما هو، لا كما يرغبونه. بمعنى آخر، لا يكتفون

بالتمنى، ولا يريدون فرض رغباتهم على الواقع الموضوعى. يصاب ابن عربى أحياناً بالإحباط فى بحثه عن الأوتاد، ويحزن لأنه لا يستطيع العثور على وتده بسرعة. فى هذه اللحظات، يتذكر نصيحة فاطمة بانو التى قالت: «طهر قلبك ... ثم اتبعه.» (علوان، ٢٠١٦: ١٩٤) يستنتج ابن عربى من تذكر هذه المقولة ما يلى: «يا الله! لو علمت فاطمة أن البحث عن وتد فى أفريقية كلها أسهل من تطهير القلوب.» (المرجع نفسه، ١٩٥) هذه الجملة تدل على أن ابن عربى يؤمن بخطأ الإنسان ولا يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ أو الذنب. إنه لا يقع فى الوهم، وهذا الفهم يجعله متواضعاً؛ أى أنه لا يرى نفسه أفضل من الآخرين ولا يحكم على الآخرين بسهولة. إنه يعلم أنه دائماً معرض للزلل والسقوط فى هاوية الفساد، ويسعى باستمرار لمراقبة سلوكه وقوله وفعله. من ناحية أخرى، يسعى دائماً لإصلاح حاله الداخلى، ويتابع مجدية ومثابرة مثالية تطوره الأخلاقى والروحى، ويتعدى عن الذنوب. كما يلاحظ فى الرواية، يقترب خطوة بخطوة من المراتب العرفانية العالية والمعرفة الإلهية، ويصل إلى درجة يصبح فيها قدوة للسالكين إلى الله.

مقاومة الانصهار الثقافى

الأشخاص الذين يحققون ذواتهم، لديهم طريقهم الخاص فى التفكير، ولا يسعون إلى التوافق مع المجتمع والثقافة السائدة. إنهم يتمتعون بشجاعة كبيرة ولا يريدون التوافق مع الحشود ويقولون أو يفعلون شيئاً يتعارض مع آرائهم ورغباتهم، لمجرد الخوف من الفضيحة. مقاومة الانصهار الثقافى تعنى «مقاومة التماهى مع الجماعة وعدم الذوبان فى اللوائح والعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية.» (شاملو، ١٣٨٨: ١٤١) فى الواقع، يمكن القول إن هؤلاء الأشخاص «يدارون ويوجهون بطبيعتهم الداخلية.» (كريمى، ١٣٧٨: ١٦٤) إن الشخصية الرئيسية فى رواية "موت صغير" تختبر تحقيق الذات وخصائصه المختلفة فى مراحل مختلفة من حياته. لقد انضم إلى صفوف رجال الله منذ نعومة أظفاره؛ لذلك، وقف فى وجه الثقافة السائدة فى عصره، وتجلى هذا الموقف فى مجالين: الرياضات الفردية ومقاومة الإغراءات والعروض المالية والمناصب المختلفة. أحد هذه المواقف هو عندما يتصرف بخلاف سيرة والده. والد ابن عربى من رجال

البلاط ويعمل فى خدمة السلطة الحاكمة. عادة فى مثل هذه العائلات، يسعى الأب إلى أن يسلك أبناؤه هذا الطريق ويستفيدوا من السلطة ومزاياها. كان والد ابن عربى يرغب فى ذلك أيضاً، وأدخل ابن عربى إلى البلاط. دخل ابن عربى البلاط فى البداية وانشغل بشؤون البلاط؛ لكنه تدريجياً تراجع عن العمل فى البلاط وانشغل بتحصيل العلم. «رفعت ذكر أبى. أعرف ذلك. ولكنى خالفت دربه و نفرت من العمل فى بلاط الملوك.» (علوان، ٢١٠٦: ١٥) يرى القرآن أن سبب معارضة بعض الناس لتعاليم الوحى هو اتباعهم لآبائهم فى اختيار الدين والعقيدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾ (البقرة / ١٧٠) ولهذا السبب، فإن ابن عربى، باعتباره شخصية محققة لذاتها، لا يسير على نهج أبيه ويظل وفياً للطريق الذى اختاره. مثال آخر على اختلاف ابن عربى عن والده فى أسلوب الحياة يرويه أحد أصدقاء والده. يأتى هذا الصديق العائلى ذات يوم إلى منزلهم ويعترض على والد ابن عربى لكونه فى البلاط وكيف تعلق بالدنيا؛ بينما هناك آخرة مقبلة ويجب أن يخشى عاقبة الأمور؟ ثم يقارن ابن عربى بوالده: «أدنى الشيخ رأسه لينظر فى عيني أبى و قال له بصوت أخفض قليلاً: أما لك فى ابنك هذا موعظة؟ شاب صغير فى شهوته قمع هواه و طرد شيطانه وعدل إلى الله تعالى ويصاحب أهل الله...» (المرجع نفسه: ١٨)

إذن، بهذا التوضيح، يمكن فهم أن ابن عربى لم يتبع طريقة أبيه، وقد بذل جهده لمقاومة ثقافته العائلية. بالطبع، كان هذا أحد سمات العرفاء المنشغلين بهموم الناس والمنتمين إلى الشعب على مر التاريخ. «تلبية احتياجات الناس لدى الحكام والأمراء كانت إحدى المهام التى كان العلماء والعرفاء يرون أنها تقع على عاتقهم، وكانوا دائماً صوت المظلومين والمحتاجين فى القصور والبلاط. بالطبع، كانت المصالح الشخصية لبعض العلماء أهم من تحقيق العدالة للمحتاجين، ولهذا السبب لجأوا إلى التملق وتبرير تصرفات الملوك والحكام. ابن عربى هو أحد عرفاء النوع الأول.» (أبوزيد، ١٣٨٥: ١٤٦) من الأمثلة الأخرى على مقاومة الانصيهار الثقافى، عدم قبول آراء كبار العلماء فى عصره. فى أحد دروس ابن عربى، حيث كان تلميذاً، يقتبس أستاذه قولاً لابن رشد. كان ابن رشد يعتقد أن الخير هو ما يقوله العقل، والشر هو ما يكرهه العقل. بعد سماع هذا

القول، يقول ابن عربى لنفسه: «ويحه! فأين وجيبُ القلب وكشف الرب؟» (المرجع نفسه: ١٢٥) يؤمن الفلاسفة بالمنهج العقلى، بينما يؤمن العرفاء بالمنهج المستمد من الكشف والشهود القلبي. كان ابن رشد من العلماء المشهورين فى عصره، وقلما كان أحد يخالفه فى رأى. يعبر ابن عربى بهذا النقد عن إيمانه بصحة المنهج العرفانى، ويسعى فى حياته دائماً إلى الكشف والشهود القلبي وتزكية النفس، ويريد دائماً الوصول إلى الحقيقة؛ لا مجرد معرفتها.

قبول الذات والآخري والطبيعة

الشخص المحقق لذاته يعرف نفسه جيداً، ويدرك سماته ونقاط قوته وضعفه. يعبر عن نقاط قوته ويعززها، ويسعى لتعويضها بقبول نقاط ضعفه. كما يقر بحق الآخري فى نقاط ضعفهم. بقبوله هذه النقطة، يتفاعل مع الناس بتعاطف، ولا يسارع إلى رفضها. ابن عربى، بعد أن يغمس فى الماديات والملاذات، ينظر إلى نفسه ويدرك أنه ابتعد عن مسار حياته الأصلية، وهو تطهير قلبه، ويصف نفسه على النحو التالى: «شعرت أنى لوثت قلبى الذى أمرتنى فاطمة بتطهيره. جالست الخليفة واعتدت على طعام القصور. تزوجت مريم واعتدت على لذة الجسد. تسلمت العطاء واعتدت على امتلاء الجيب. لا عجب إذن أن يحيق بى هذا الضيق والكدر.» (علوان، ٢٠١٦: ١٧٨)

من علامات قبول الآخر، التغاضى عن بعض أخطائهم وعيوبهم. يظهر ابن عربى هذا القبول فى تعامله مع شرب عمه للخمر فى شهر رمضان أيضاً. فبعد أن يرى عمه يشرب الخمر فى المتجر، يخرج مسرعاً من المتجر ويتظاهر بأنه لم يلاحظ شيئاً. «وصلت حانوته ودخلت دون أن أسلم لأجد عمى يشرب من جرة خفية وقد أولانى ظهره. تراجعت هلعاً لشربه فى وقت الصيام ولم يرنى. ثم عدت وناديته من الخارج وكأنى جئت لتؤى فأذن لى بالدخول.» (المرجع نفسه: ٨٤)

بعد أن يعتزل ابن عربى فى المقبرة لفترة، يعود إلى المنزل. فى هذا الوقت، يوبخه والده. ينتقد والده حاله، ويردّ ابن عربى عليه بأن الله قد نصحه وأرشدته. يسأل والده بتعجب: «ولماذا يعظك أنت من دون العالمين؟» فيجيب ابن عربى: «لأنى ولى من

أولياؤه.» (علوان، ٢٠١٦: ١٥٤) تدل هذه الإجابة من ابن عربى على اعترافه بقدرته على بلوغ مقام الولاية، ويدافع عن نفسه بثقة كاملة أمام توبيخ والده.

العفوية والبساطة والطبيعية

هذه السمة تجعل الشخص المحقق لذاته ينأى بنفسه عن أى ادعاء أو نفاق، ويظهر حقيقته. فهو لا يريد أن يظهر نفسه كشخص آخر بوضع قناع على وجهه الحقيقى. لديه علاقة جيدة بذاته الحقيقية، ولا يشعر بأى خوف من التعبير عنها. وفقاً لماسلو، «يمكن وصف جميع الأفراد المحققين لذواتهم بأنهم عفويون نسيباً فى سلوكهم، وأكثر عفوية بكثير فى حياتهم الداخلية وأفكارهم.» (ماسلو، ١٣٧٢، ٢٢١) سلوك هؤلاء الأفراد فطرى وداخلى، ولا يتصرفون بطريقة نمطية أو قالبية. «سلوك المحققين لذواتهم مفتوح تماماً، طبيعى وواضح. لا يخفى المحققون لذواتهم مشاعرهم وعواطفهم عادةً ليكونوا شيئاً ليسوا عليه.» (كريمى، ١٣٧٤: ١٦) يتصرف ابن عربى فى بعض المواقف ببساطة شديدة وطبيعية وبعيداً عن التكلف. أحد هذه المواقف هو عندما يبكى ابن عربى فى صفه أمام الطلاب. إن سبب بكائه هو تذكره لحظة انفصاله عن فاطمة بانو بنت مثنى. هذا الانفصال حدث فى طفولة ابن عربى، والآن بعد سنوات عديدة، يبكى فى درس دون أن يشعر بالخل من طلابه. «فكنت أتذكرها بعد سنوات فى درس من الدروس وحولى تلاميذى، فأبكى بينهم فجأة دون مقدمات...» (علوان، ٢٠١٦: ٤٣) إنه يحترم مشاعره وعواطفه ويعبر عنها؛ دون أن يخجل من أحد أو يتأثر بوضعه ومكانته.

جودة الانعزال والحاجة إلى الخلوة

فى بعض الأحيان، ولأسباب عدة، يميل الشخص إلى الابتعاد عن رفقة الأصدقاء والزملاء، إلخ، ويصبح منعزلاً. توفر الخلوة فرصة للشخص المحقق لذاته لفحص نقاط قوته وضعفه، وتقييم المسار الذى اتخذ، ودراسة طرق تحقيق أهدافه. «يسهل عليهم أن يكونوا منعزلين وهادئين ورصينين. ربما يكون هذا بسبب رغبتهم فى الثقة فى فهمهم الخاص لموقف ما.» (ماسلو، ١٣٧٢: ٢١٨) بين العرفاء، العزلة شائعة جداً، وفيها يمارسون العبادة، ومحاسبة الأعمال، والتفكير فى الخلق، إلخ. يسعى العرفاء إلى

التحول إلى الإنسان الكامل؛ أو على الأقل الاقتراب من هذه المكانة. العزلة والانعزال يساعدان العارف على تحقيق هذا الهدف. «... وكلما توغل في داخله وقطع ارتباطه بالخارج أكثر، [كلما اقترب من مقام الإنسان الكامل].» (مطهرى، ١٣٨١: ١٧٥) لتحقيق "الاهتمام بالداخل وإهمال الخارج"، يمكن أن تكون العزلة خياراً مناسباً للعارف؛ لأنه يجد كل ما يحتاجه في داخله. يعبر الشاعر الإيراني حافظ الشيرازي عن هذا المعنى بقوله: «سألها دل طلب جام جم از ما می کرد / آنچه خود داشت ز بیکانه تنها می کرد» «لسنوات طلب القلب كأمس جم من / ما كان يملكه هو، تنها من الغريب» (حافظ، ١٣٧٦: ١٣٧) وكما يقول الشاعر الصوفي الشهير الآخر جلال الدين المولوي: «در خود بطلب هر آنچه خواهی که تویی» (اطلب كل ما تريد في نفسك!) (مولوي، ١٣٧٤ش، ج ٢: ١٤٢٦) في أجزاء كثيرة من هذه الرواية، يلجأ ابن عربي إلى الانعزال، ويرى أنه ضروري جداً له. يقول عن مدة عزلته: «فعلمت أني بلغت المعتزل الذي يليق ببيعتي قطباً بعد خمسين سنة على طريق الله المحفوف خلوة وسفراً وجوعاً ورياضة ومجاهدة.» (علوان ٢٠١٦: ٩) يبدو أن ابن عربي، باستمراره في العزلة، تمكن من أن يصبح قطب الصوفية. العزلة شرط أساسي لكي يصبح العارف قطباً. هذه العزلة تصل إلى حد النوم في القبور؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يبحث عن ابن عربي. «وجدت نفسي أخيراً في المقبرة، فدخلت وسلمت وجلت بين القبور فشعرت بسكينة. ثم لمحت قبراً خرباً قد صار أشبه بمغارة صغيرة، فجلست فيه وبدأت أقرأ القرآن.» (المرجع نفسه: ١٥١)

الإبداع والابتكار

يساعد الإبداع والابتكار الشخص الذي يحقق ذاته على التعبير عن فرديته. إنه يقدم وجهات نظره ومشاعره وتجاربه الفريدة للآخرين. التعبير عن الفردية يساعد الفرد على ترسيخ هويته والشعور بقيمة أكبر. يمكنه من خلال ذلك حل المشكلات بطرق جديدة. يشعر الشخص المبدع بقيمته ويفتخر بنفسه. يعتبر ابن عربي أحد أكثر الكتاب إنتاجاً في العالم الإسلامي. «تُظهر أعماله الباقية سيطرته الواسعة وإحاطته بجميع مجالات الفكر الصوفي في عصره، وقد اعتبر ابن عربي بحق أحد أكثر الشخصيات الأدبية والصوفية

والفلسفية إنتاجاً وتأثيراً في العالم الإسلامي.» (مير آخوري وشجاعى، ١٣٧٦ هـ ش: ١٨) «في رسالة كتبها من دمشق عام ٦٣٢ هـ إلى كيخسرو الأول، ملك قونية، يعدد ٢٤٠ عنواناً من مؤلفاته. وقد قدر الشعراني عدد مؤلفاته بحوالى ٤٠٠، وجامى بأكثر من ٥٠٠، وعثمان يحى ٨٤٨، وويليام تشييتيك بأكثر من ٩٠٠.» (ابن عربي، ١٣٨٦ هـ ش: ٣٥) في هذه الرواية، يشار من حين لآخر إلى انشغال ابن عربي بكتابة الشعر، وأكثر من ذلك، بكتابة الكتب. وقد أدت علاقته بنظام إلى تأليف قصائد، جاءت بعض أبياتها في الرواية. «ليت شعري هل دروا أى قلب ملكوا.» (علوان، ٢٠١٦: ٣٢١) «وفؤادى لو درى أى شعب سلکوا.» (المرجع نفسه: ٣٢٢)

في مكة، يلاحظ الشيخ زاهر أن ابن عربي قد أوقف دروسه. يسأل عن السبب. يجيب ابن عربي بأنه يؤلف كتاب "الفتوحات المكية" ويتحدث عن موضوعه: «عن جميع ما فتحه الله على من فنون المعارف في مكة. أسميه الفتح المكي.» (المرجع نفسه: ٣٢٨) إن وجود هذه الأعمال العلمية والأدبية جعل ابن عربي يتمتع بمكانة رفيعة ويفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين عن العلم والمعرفة.

التركيز على حل المشاكل

لدى الأشخاص الذين حققوا ذواتهم رسالة في الحياة ويعملون مجد لتحقيقها. يعدّ التركيز على حل المشاكل إحدى السمات المميزة لهم، وفقاً لأبراهام ماسلو. تعنى هذه الخاصية أنهم، بدلاً من التركيز بشكل رئيسي على مشاكلهم وهمومهم الشخصية والداخلية، يميلون إلى تركيز انتباههم على المشاكل والقضايا الخارجية، وخاصة القضايا الاجتماعية والفلسفية والعالمية. غالباً ما يرى هؤلاء الأشخاص أنفسهم جزءاً من كيان أكبر، ولديهم شعور برسالة أو هدف في الحياة. فهم لا يرون المشاكل فحسب، بل يشعرون أيضاً بمسؤولية حلها ويشاركون بفعالية في إيجاد حلول لها. يقول ماسلو: «الأفراد الذين يحققون ذواتهم يميلون إلى التركيز على المشاكل أكثر من التركيز على الذات. بشكل عام، لا يهتمون كثيراً بأنفسهم. هؤلاء الأفراد لديهم رسالة في الحياة ولديهم واجب يقع على عاتقهم، لديهم مشكلة خارج ذواتهم ويشعرون بالمسؤولية

تجاهها». (ماسلو، ١٣٧٢: ٢٢٣) مواجهة المشاكل والسعى لحلها يوفر فرصاً للتعليم والنمو والتنمية الشخصية. حل المشاكل يمنح معنى لحياة للفرد. وجود مشكلة يدفع الإنسان إلى عدم اعتبار الحياة بلا معنى، ويسعى بمجدية وراء تلك المشكلة فى حياته. الهمّ والمشكلة الأساسية لابن عربى فى حياته كلها كانت الوصول إلى المحبوب والمعشوق الحقيقى، أى الله. جميع الأنشطة التى يقوم بها فى حياته؛ الرحلات والعلاقات الاجتماعية والحضور أمام كبار العلماء والعرفاء والعزلة والانعزال إلخ، كلها فى سبيل تحقيق هذا الهدف. ينتقد ابن عربى الفلسفة أمام الخليفة على النحو التالى: «يا أمير المؤمنين، إن الفلسفة هى محبة الحكمة. وليس كل من أحب محبوباً نال وصاله». (علوان، ٢٠١٦: ١٦١) يحدّد ابن عربى والعرفاء بشكل عام هدفهم فى الوصول إلى المعشوق؛ وليس مجرد معرفته. «وعلى مثل هذه الحال التى يكون القلب فيها مفتوحاً على مهب الجهات الأربع أفاض الله على من علمه اللدنى معارج عقلية ما سعدتها من قبل، ومقامات روحانية ما بلغت قط...» (المرجع نفسه: ١٧٤-١٧٣) تظهر حياة ابن عربى بأكملها فى هذه الرواية هذا السعى الدؤوب للوصول إلى الله.

النتيجة

أظهر تحليل شخصية ابن عربى بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات أنه سعى منذ طفولته إلى تحقيق الذات. وقد وصل إلى تحقيق الذات من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية. فى هذه الرواية، ذُكرت أمثلة من حالات تلبية الاحتياجات الفسيولوجية والأمنية والاجتماعية واحتياجات التقدير. من أبرز جوانب تحقيق الذات لابن عربى هى مقاومته للانصهار الثقافى، والانعزال والحاجة إلى الخلوة، والتركيز على حل المشاكل. أدّت مقاومة الانصهار الثقافى إلى امتناعه عن التواجد فى بلاط الملوك وأصحاب السلطة، والابتعاد عن مصاحبة أرباب القدرة. كما أدت إلى عدم اتباع ابن عربى طريق التبعية والطاعة فى مواجهة العلماء والوجهاء فى عصره، بل وجد طريق السمو بنفسه وسلوكه. هذه المقاومة للانصهار الثقافى هى التى أدت به فى نهاية حياته إلى الاستبعاد من الدوائر الدينية الرسمية، والعيش من خلال البستنة، وفى النهاية توفى

في العزلة والعزلة.

الانعزال والحاجة إلى الخلوة هي طريقة استخدمها ابن عربي في جميع مراحل حياته. وقد استغل هذه الطريقة في أجزاء كثيرة من الرواية للحصول على معرفة جديدة، وتحسين حالته النفسية والروحية، واكتساب المزيد من القوة لمواصلة المسار. هذه العزلة والحاجة إلى الخلوة تُلاحظ بكثرة في حياة العديد من العرفاء، سواء في العالم الإسلامي أو خارجه؛ لذا، فإن ابن عربي ليس استثناءً من هذه القاعدة وقد استفاد منها إلى أقصى حد. حتى أنه في جزء من هذه الرواية، يذهب إلى المقبرة لتحقيق هذا الهدف المهم، ويواجه رد فعل عنيف من والده.

التركيز على حل المشاكل هو جانب آخر من جوانب تحقيق الذات في شخصية ابن عربي. المشكلة التي سعى ابن عربي لحلها طوال حياته هي الوصول إلى الله. فاطمة بانو بنت مثنى، التي دعت إلى تطهير قلبه، كانت تساعد بالضبط على الوصول إلى الله. البحث عن الأقطاب الأربعة المذكورين في الرواية، هو للوصول إلى الله. يمكن القول أن حياة ابن عربي هي مسار نحو الوصول إلى الله.

المصادر والمراجع

العربية:

القرآن الكريم.

ابن حيون، النعمان بن محمد بن المغربي. (١٣٨٥ هـ ق). دعائم الإسلام. قم: مؤسسة آل البيت (ع).

علوان، محمد حسن. (٢٠١٦). موت صغير. بيروت: دار الساقي.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٧٥ هـ ش). الكافي. طهران: أسوه.

مبروك، رشما محمد علي. (٢٠١١). الحاجات النفسية في ضوء نظرية ماسلو (دراسة مقارنة بين

الكفيف والمبصر). رسالة دكتوراه، المشرف: فوقية حسن عبد الحميد رضوان وآمال العرباوى مهدي.

جامعة بورسعيد.

محمد، سيد عبد الرحمن. (١٩٩٨). نظريات الشخصية. القاهرة: قباء.

الفارسية:

ابن عربي، محمد بن علي. (١٣٨٦ هـ ش). فصوص الحكم. تقديم، ترجمة النص، شرح وتحليل: محمد

علي موحد وصمد موحد. طهران: كارنامه.

أبو زيد، نصر حامد. (١٣٨٥ هـ ش). هكذا تكلم ابن عربي. ترجمة: إحسان موسى خلخالي. طهران: نيلوفر.

تشيتيك، ويليام. (١٣٩٣ هـ ش). ابن عربي وريث الأنبياء. ترجمة: هوشمند دهقان. طهران: پیام امروز.

حافظ، شمس الدين محمد. (١٣٧٦ هـ ش). ديوان حافظ. تصحيح: هوشنگ ابتهاج. طهران: کارنامه. رايکمان، ريتشارد. (١٣٩٦ هـ ش). نظريات الشخصية. ترجمة: مهرداد فيروزبخت. طهران: آرسبران. سيف، علي أكبر. (١٣٩٠ هـ ش). علم النفس التربوي الحديث؛ علم نفس التعلم والتعليم. طهران: دوران.

شاملو، سعيد. (١٣٨٨ هـ ش). مدارس ونظريات في علم نفس الشخصية. الطبعة التاسعة. طهران: رشد.

شولتز، دوان؛ سيدني آلن شولتز. (١٣٨٩ هـ ش). نظريات الشخصية. ترجمة: يحيى سيدمحمدی. طهران: نشر ويرايش.

فيسست، جس؛ غريغوري جي فيست. (١٣٩٠ هـ ش). نظريات الشخصية. ترجمة: يحيى سيد محمدی. طهران: روان.

كريمي، يوسف. (١٣٧٤ هـ ش). علم نفس الشخصية. الطبعة السادسة. طهران: رشد.

کنجي، حمزه. (١٣٩١ هـ ش). علم النفس العام. طهران: سافالان.

ماسلو، أبراهام. (١٣٧٢ هـ ش). آفاق أسمی للطبيعة البشرية. ترجمة: أحمد رضواني. مشهد: آستان قدس رضوی.

_____ (١٣٦٩ هـ ش). الدافعية والشخصية. ترجمة: أحمد رضواني. مشهد: آستان قدس رضوی.

_____ (١٣٦٧ هـ ش). سيكولوجية الشخصية السليمة. ترجمة: شيوا رويكريان. طهران: هدف.

مطهری، مرتضی. (١٣٨١ هـ ش). الإنسان الكامل. طهران: صدرا.

مولوی، جلال الدين، (١٣٧٤ هـ ش)، ديوان شمس، طهران: منشورات راد.

مير آخوری، قاسم وحيدر شجاعی. (١٣٧٦ هـ ش). قاموس التعبيرات العرفانية لمحيي الدين ابن عربي. طهران: جامی.

مير صادقی، جمال؛ مهاجر، ميمانت. (٢٠١١). عناصر الخيال. الطبعة الخامسة. طهران: منشورات سخن.

يثيري، يحيى. (١٣٩٧ هـ ش). خداع السراب: بحث في معرفة وتقييم ونقد التصوف. قم: فروغ فردا.